

بوزيد بوعبيد.. فنان مغربي نذر فرشاته لترميم اللوحات التشكيلية التالفة

قلّة هم الرسامون العرب الذين يحترفون ترميم اللوحات التشكيلية وإصلاحها، فهي موهبة تتطلب الكثير من الدقة والصبر والاطلاع الواسع على مختلف تقنيات الرسم، بالإضافة إلى حبّ غير مشروط لهذا النوع من الإبداع. والفنان المغربي المخضرم بوزيد بوعبيد واحد من بين القلة الذين نذروا حياتهم وفرشاتهم لترميم اللوحات التشكيلية التالفة وإصلاحها.

الرباط - باستثناء المهتمين وأهل الاختصاص، قلّة من الناس يعرفون خبايا فن مهنة ترميم وإصلاح اللوحات التشكيلية، المجال الذي يشكّل فيه بوزيد بوعبيد أستاذ تاريخ الفن والحضارات والرسم القديم في المعهد الوطني للفنون الجميلة بمدينة تطوان المغربية مرجعا أساسيا له بالنظر إلى تعدّد زوايا تعاطيه مع الرسم والتشكيل وشساعة نطاق اهتماماته، الأمر الذي جعل منه موسوعة حية في المجال.

وقال بوزيد بوعبيد الذي خصّسه الباحث المغربي في الآداب والفنون مخلص الصغير بكتاب حمل عنوان "بوزيد بوعبيد المتعدّد والمتفرّد، حكاية فنان تشكيلي"، أن عمل المصلح أو المرمم، على اختلاف مضمون الكلمتين من حيث ممارسة الفن/ المهنة، تكمن صعوبته في الكثير من الأشياء، منها أنه قد يتطلب وقتا طويلا يمتد لسنوات لإصلاح لوحة تشكيلية واحدة، وكلفة باهظة تبعاً لحجم الضرر الذي لحق بها، سواء كانت أضراراً طفيفة أو جانبية غير مرئية بالعين المجردة أو بفعل التاكسد، أو قد تكون تعرّضت لتلف كبير.

ويوضح بوعبيد، وهو من مواليد مدينة تطوان سنة 1953، أن اللجوء إلى أحدث التقنيات والطرق العلمية المتبعة في ترميم وإصلاح اللوحات الفنية القديمة قد لا يكفي في أحيان كثيرة، لأن المرمم أو المصلح ملزم بالاطلاع على تقنية الرسم المستعملة في اللوحة والتاريخ الفني السائد إبان إبداعها، وهل لجأ الرسام إلى تقنية خاصة في رسمها، فضلا عن معرفة إن كانت اللوحة قد تعرّضت لإتلاف عرضي أو مقصود.

ويذكر الخبير المغربي في ترميم اللوحات التالفة حيث أن تحديد عرق ونوع الضرر يحتم القيام بدراسة تفصيلية وشاملة للوحة قديما، ومعرفة التقنيات المستعملة في تلك الحقبة أو التي يستعملها الفنان التشكيلي المعني، ونوع الأصباغ، وأسباب ودرجة التشققات، فضلا عن الأخذ بعين الاعتبار عامل الزمن. ويقتر هذا المتخصص في التراث ومؤرخ الفن أن تقنيات حديثة ومتطورة برزت منذ حوالي عقدين من الزمن في بلدان رائدة في المجال باللجوء إلى مختبرات علمية دقيقة، مذكرا بأن بداية اهتمام المختبرات بهذا المجال يعود إلى العقد الأول من القرن العشرين في متحف فوغ التابع لجامعة هارفارد الأميركية، ثم متحف اللوفر الفرنسي الشهير، قبل أن يفتتح مختبر في بريطانيا في ثلاثينات القرن الماضي لتنامي الحاجة إلى هذا التخصص النادر.

لكنه يعقب في المقابل بأن استعمال التقنيات المتطورة وحده لا يكفي، لأن أساس هذه المهنة هو المعرفة الدقيقة باللوحة المعنية، فنيا وتقنيا وتاريخيا، ومعرفة نوعية قماش اللوحة بأنواعه ودويقة دقيقة، وإعادة المنسوجات التالفة إلى حالتها الطبيعية باستخدام المجهز واليد الخبيرة المرئية.

ويضيف أن الأمر يحتاج كذلك، كما هو معروف عالميا، إلى استخدام مواد كيميائية لكن بحذر شديد، مثل الكروماتوغرافيا والميثانول وفورمالدهيد، وتشخيص الضرر يدويا باستعمال أدوات الطياف أو علميا عبر الأشعة السينية، وذلك لفهم اللوحة ومكوناتها بعين خبرة تدقق في التفاصيل ولا تهمل أية جزئية ولو بدت غير ذات أهمية.

ويبرز الفنان أن الأمر لا يحتاج فقط إلى تكوين مرمم اللوحات التشكيلية وتوسيع اطلاعهم الأكاديمي وصقل مهاراتهم فحسب، وإنما يحتاج أيضا إلى تطوير حسهم الفني الرفيع من خلال تراكم التجارب في التعامل مع اللوحات الفنية، إلى جانب التوفّر على موهبة خاصة وإبداع فطري وطول الصبر والأناة.

وهو يرى أن المغرب لم يتأخر في الاهتمام بفن ترميم وإصلاح اللوحات وإن كان تاريخ الفنون التشكيلية بالبلد حديث العهد مقارنة بالبلدان العريقة في المجال، مشددا في ذات الوقت على أن الاهتمام بهذا الجانب يجب أن ينمو بخطى ثابتة مع بروز موجة اقتناء القطع الفنية، وتعرّض بعض لوحات كبار المبدعين المغربية لأضرار مختلفة، مع ما يتطلب ذلك من الحفاظ على الموروث الثقافي المغربي.

ويعتبر بوعبيد الذي سبق ورسم لوحات تشكيلية لمبدعين بارزين من قبيل الفنان الإسباني ماريانو بيرتوتشي، أنه أن الأوان لتوسيع التعاطي الأكاديمي والعلمي مع إصلاح وترميم اللوحات، داعيا إلى ضرورة إعادة النظر في طريقة تخزين اللوحات ونقلها وعرضها بشكل عام، والرقي بالذوق الفني وصقل المواهب المتفرّدة والانصهار في وجدان الفنان الذي تعرّضت لوحاته للتلف.



بوزيد بوعبيد
عند الترميم أنصر
في وجدان الفنان الذي
تعرّضت لوحاته للتلف

وخلص إلى أن عملية ترميم وإصلاح اللوحات الفنية القيمة تعدّ فنا أكثر منه علما رغم اختلاف الرؤى بهذا الصدد بين من يتعلق بالتركيز على الجانب العلمي والتقني، وبين من يدعو إلى الإلتصاف بالإحساس والذوق.

وبوزيد بوعبيد من مواليد 1953 بتطوان، تخرج من مدرسة الفنون الجميلة سنة 1975 قبل أن يكمل دراسته الأكاديمية بإسبانيا وبلجيكا، وهو من القلائد الذين خضعوا للتدريب في علم المتاحف وأخر في مجال ترميم وإصلاح الأعمال الفنية، وقام بتدريبات ميدانية وزيارات متعددة للمتاحف الحديثة والمعاصرة في عدد من البلدان الأوروبية أغنت تجاربه ومعارفه وأهلتها لإدارة متحف تطوان للفن الحديث، وهو إلى جانب ذلك رسام محترف ارتبط اسمه بالجيل الجديد لمدرسة الفنون الجميلة بتطوان، كما ارتبط اسمه ولغ في "معرض الربيع" بتطوان نهاية السبعينات وبداية الثمانينات من القرن الماضي لتتوالى معارضه الفردية والجماعية بعدها.

وتحمل أعمال بوعبيد الفنية هوية متجددة ومتفرّدة، وهي تتردّد ما بين التشخيص والتجريد، ما منحها لونه التشكيلي الخاص، وشكله الاستثنائي وظله الممتد في تجارب الأجيال اللاحقة. كما تمكن الفنان المغربي من الخروج من ثوب التشكيلي ليلبس جلباب الباحث المؤرخ في مجالات متعددة، وهو المهتم بالبرصد والنقد الفني، حيث أصدر كتابين: الأول عن التشكيلي المغربي الراحل المني مغارة؛ والثاني في جزائين بالعربية والإسبانية والفرنسية والإنجليزية تحت عنوان "رسامون من تطوان" تضمّن سير وأعمال 67 فنانا من مختلف الأجيال والاتجاهات الفنية.



بوعبيد سبق ورسم لوحات للفنان الإسباني ماريانو بيرتوتشي

فنانة لبنانية تراكم ثلاثة نصوص جمالية على قماشة واحدة

سارة شعار تعيد بناء بيروت المحطمة عبر لوحات كابوسية مزخرفة



هلوسة بصرية مُرتجة

وفي حين تحفّ حدة ظهور أشواك السورود وعروقها المشدودة وتتكاثر بُبيلات الأزهار المنفصلة عن بعضها البعض في لوحات كلش، لتطفو عبر حالات صوفية لم تُعدّ تقيم لحضورها المادي كزهرة متكاملة أي أهمية، تنهل حشرات شعار أيضا من هذه المادية غير أبهة بأشكالها وغير معنية بأي تصنيف قد يمليه عليها مُشاهدنا.

وفي حين تحفّ حدة ظهور أشواك السورود وعروقها المشدودة وتتكاثر بُبيلات الأزهار المنفصلة عن بعضها البعض في لوحات كلش، لتطفو عبر حالات صوفية لم تُعدّ تقيم لحضورها المادي كزهرة متكاملة أي أهمية، تنهل حشرات شعار أيضا من هذه المادية غير أبهة بأشكالها وغير معنية بأي تصنيف قد يمليه عليها مُشاهدنا.



ولكنها تأخذ المُشاهد إلى عوالم درامية حيث لا يملك أحد آخر (ولا حتى الفنانة) معايير حقاقتها ولا قوانين حياتها، وذلك لأن الارتجال في لوحات شعار حتى وواضح تطلق من خلاله الفنانة صيحاتها في حرية لافتة، بينما يترقق نص كلش في شاعرية لافتة لا يريد عبرها، أي نصها، أن يكون خارج "حُسن" صاحبته. وسارة شعار مولودة في ميامي/ فلوريدا الأميركية وقد ترعرعت هناك. وهي فنانة متعددة الوسائط من ضمنها التجهيز الفني والفيديو. ويتميز عملها بتنوعه وباستخدام مواد مختلفة إلى جانب مادة الأكريليك التي تكثفها أحيانا وتجعلها رقيقة في مواضع أخرى من لوحاتها. ومن تلك المواد نذكر الطباشير والأقلام والألوان الزيتية ومواد صناعية.

شاركت بمعارض جماعية كثيرة في لبنان وفي كوينهاغن وكندا. وستشارك قريبا في معرض في فرنسا بعنوان "أضواء من بيروت" وذلك في مركز العالم العربي في باريس.

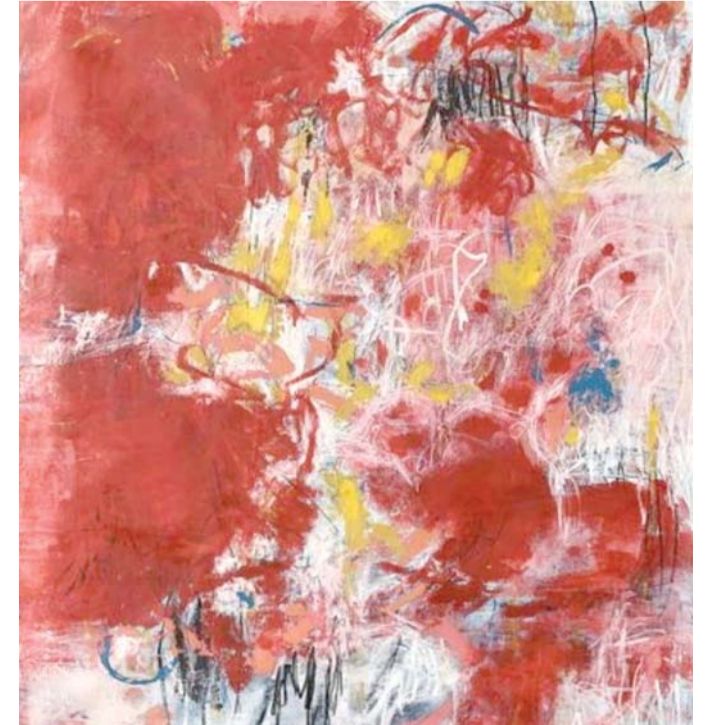
تقدّم صالة "أرت أون 56 سستريت" البيروتية العائدة حديثا إلى العرض الفني بعد غياب قصري دام ما يقارب سنة، معرضا للفنانة اللبنانية سارة شعار تحت عنوان "اليقين المتخايل".

لوحاتها. عالم تسكنه كائنات تشبه الحشرات تتوالى في تحركاتها وتجوّلاتها في فضاء اللوحات أن تعبر عمّا يجول في عقل الفنانة من أفكار ومشاعر.

اليقين المتخايل، يبدو في أعمال شعار أشبه بهلوسة بصرية مُرتجة يكاد يُسمع طنينها وأزيزها وأنيبها بفضل فعل التجريح والتقطيع وعمليات مراكمة الطبقات التي تليها فتح شقوق يدخل إليها اللون في "سكب" جديد منه تضيفه على صفحات أعمالها الغرصة "لغدوانها"، أي لغدوان الفنانة، إذا صحّ التعبير.

من الواضح بأن الفنانة في معرضها التشكيلي الأول تستقرّ سطح القماشية في محاولة استنطاقها بما لا تريد أن تُفصح عنه. وتتخالي ضربات الفنانة الملحة دون أن تمدها في وسع مساحات لوحاتها التي اختارتها كبيرة الحجم، على الأرجح كي تتمكّن فيها من عزل خيوطها بعيدا وعميقا في حناياها.

ويستمرّ تدخل الفنانة في لوحاتها إلى جانب إحداث تجريح عُزير يتعظّر بكثرة الخطوط الدقيقة على شكل "غارات" متقطعة تاتي أحيانا كبقع حمراء ودموية وأحيانا زرقاء ومائجة/رقراقة، وأحيانا أخرى كطلحات سوداء



حفر وخدش في طبقات الألوان المناسبة

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

سارة شعار، هي فنانة تشكيلية لبنانية صاعدة لم تتلق دراسة أكاديمية في الفن بل في الإعلام المرئي والمسموع، لكنها ما لبثت أن انحازت إلى الفن، حيث عثرت على ما كان يعجّ في نفسها ويريد أن يظهر في نصها الفني. وتقدم الفنانة وحتى الثامن عشر من يوليو القادم معرضا فنيا في صالة "أرت أون 56 سستريت" البيروتية بعنوان سائق وشائق هو "اليقين المتخايل"، لأنه ليس من السهل العثور عليه في أعمالها المعروضة.

عناوين إيحائية

تقدّم الصالة الفنانة الشاببة بهذه الكلمات في المنشور المرافق للمعرض "عمل الفنانة مبني على ثلاث مراحل تشبه ما تعيشه بيروت منذ زمن بعيد وهي مرحلة البناء، التدمير وإعادة البناء.. تقنية عملها في هذه اللوحات مبني على عملية الحفر والخدش في طبقات الألوان التي تضمها على

إبهام منطقي

في مرات عديدة يُمكن استيعاب نص فني يقارب الإبهام إن تمت مقابلته وليس مقارنته مع نص فني آخر يشبهه من حيث الأسلوب. لذلك قد تكون هناك ثمة إفادة في مقابلة أعمال الفنانة سارة شعار مع أعمال الفنانة اللبنانية هبة كلش مع اختلاف كبير في الخبرة الفنية والقدرة على تشكيل نص فني متماسك. ولعل من أهم الملاحظات التي يُمكن تقديمها في هذا السياق هو أنه في حين تاتي المعاني في لوحات كلش راسحة من عمق اللوحات إلى سطحها متخطية طبقات غير مرئية وتمتاز بشفاافية هائلة تذكر بصفاء الهواء والماء، تسقط المعاني المتتسعة والشائكة لتحفر في لوحات شعار نحو الداخل الذي يخفق أحيانا كثيرة بما تلقاه، ليذكر أيضا بالأعمال المشغولة بمادة "الرزين" الصناعية التي تحتجز أشكالاً مختلفة تحت طبقاتها الشفافة.

لا "احتجاز" في لوحات كلش بينما يوجد منه الكثير في أعمال شعار. أجواء الفنانة الشابة تنحّي نحو كابوس مُخفف ومُعزّض لأن يزداد كثافة في لوحات قادمة وفي معرض جديد. أما في لوحات كلش تبرز ثيمة الحلم الذي يتخطى كونه ترفيفا للشحنات عاطفية أو تخفيفا من أهوال وكوابيس مستقبلية، فهو بوابة إلى العالم الأخر حيث تهدأ الجراح وتنتعش الروح.